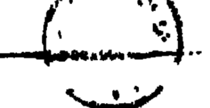
المسكرات ومضارها

« النفسية والاجتماعية »

محاضرتان القاهما الاستاذ الدكتور احمد بك الحكيم احد اعضاء المجمع
العلمي العربي في ردهة المجمع بدمشق
في ٢٥ تشرين الاول سنة [illegible] وفي ٤ نيسان سنة ١٩٣٠ م



نشرتا اولاً في مجلة المجمع العلمي العربي
بدمشق

دمشق : ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م

المسكرات ومضارها

للامم كما للأفراد قوام مادي وقوام روحي . فقوام الامم المادي افرادها ، وقوامها الروحي مبادئها العامة التي تؤلف مابين اولئك الافراد فتجعل منهم جسداً واحداً يتحرك بمحرك واحد . اما نسبة المادة الى الروح في تأليف الامة فهي كنسبة الاحجار الى البناء . وكما ان الاحجار المتفرقة لا تؤلف بنياناً مهما كثر عددها وتماثل شكلها الا اذا تراصّت وتلاصقت وشد بعضها بعضاً على شكل هندسي معروف . كذلك الافراد فهم لا يؤلفون أمة مهما كثر عددهم وتشابهت سحنهم وتوحدت اصولهم وتثقفت أذهانهم اذا لم تجمعهم جامعة عامة واحدة فيتأثرون بمؤثر واحد . يعيشون لاجله ويموتون في سبيله .

وقد يضعف قوام الامم المادي و يبقى قوامها الروحي صحيحاً فتحتفظ بكيانها الاجتماعي كما يحتفظ عليل الجسم بحقوقه المدنية اذا لم تتطرق العلة الى ملكاته النفسية . اما اذا فقدت الامة مبادئها العامة فتفقد تمة حياتها الاجتماعية وتصبح لا كيان لها في العالم الادبي . فيستولي عليها الصحيح من الامم . كما يحجر على مؤوف العقل على الرغم من سلامة سائر اعضائه ، وقوتها ، وجمالها . سنة الله في هذا الكون ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

وقد أتى على الامة العربية الى يومنا هذا عوامل مختلفة ، دينية وسياسية وادارية واجتماعية أفقدتها مبادئها العامة ، فأضاعت معها كل ما كان لها من عز وسلطان ، وكيان سياسي واجتماعي ، وباتت على ما هي عليه اليوم ، مما يندى له الجبين ويهلع الصابر لذكراه . فهي تعيش اليوم حياة فردية طائفية ، أشبه

بها باحجار هيكل عظيم ، قوّضه زلزال شديد ، فتناثرت على الارض محتفظة بصلابتها ورونقها . فليت شعري مايكون امرها عداً . امرها أيها السادة احد شيئين : اما ان يتطرق الفساد الى جوهرها بتأثير العوامل الطبيعية المختلفة ، فتفقد ثمة خصائصها ، فتتفتت ثم تضمحل . واما ان تحتفظ بشكلها وخواصها الى ان تصادف يداً عاملة فتعيدها سيرتها الاولى . وبكلمة عامة : الحياة السياسية ممكنة مادام الجوهر الفرد صحيحاً . وقد كان الاعتقاد ايماناً بان لا بد لهذه الامة من نشر بعد هذا الطي المستمر ، وذلك بالنظر لسلامة قوامها المادي أعني افرادها الذين لم يزالوا محافظين بعامل الوراثة على كثير من خصائصهم القومية ، فهم بمثابة تلك الاحجار الصلدة المهذبة المتناثرة من ذلك البنيان المتهدم ، غير ان هذا الايمان القوي قد اخذ يتحول الى رجاء في هذه الآونة الاخيرة ، لما ظهر في البلاد العربية من الامراض الاجتماعية الفتاكة التي تهدد الفرد بحياته المادية والنفسية ، وترمي الى افساد مادته وخصائصه العنصرية وهي الدعامة الوحيدة لوحدته المنشودة ، فيصبح كالغراب غريباً ، ينكره التالد ولا يلحق به الطارف . أمراض اجتماعية تسربت الى هذه البلاد الضعيفة تحت ستار الحضارة والمدنية البراق . وشر الادواء ما كان خفياً ، وشر السموم ما كان شهياً ، فتهافت عليها الناس تهافت البعوض على النور يحسبون السعادة في نورها ، فتلتهم حياتهم نيرانها ، واشد هذه الادواء فتكاً في النفوس واعظمها خطراً على الحرث والنسل (الغولية) أي داء المسكرات .

اقول الغولية وهي نسبة الى الغول ، والغول في اللغة السكر ، وفي مصطلح العلم المادة المؤثرة المسكرة الموجودة في المواد السكرية والنشائية المائعة المختمرة كخمر العنب ونبيذ الشعير والأرز والتفاح وغيرها . وقد كان يُظن قبل الاسلام

ان الخمور مسكرة بذاتها فلما جاء الاسلام وصف خمر الجنة . قال في تعريفها : (لا فيها غول ولاهم عنها ينزفون) اي ما فيها مادة مسكرة ينشأ عنها الصداع والسكر يقال لها غول . وأفاد بان الخمر ليست مسكرة ومصدعة بذاتها بل هي مسكرة بمادة خاصة موجودة فيها تدعى الغول ، أحرم لاجلها لانها هي التي تفسد العقل وتسكر .

و بالنظر لجهل الناس علم الكيمياء في ذلك العصر لم ينتبهوا الى معنى كلمة الغول العلمي فسروها بمعناها اللغوي وهو السكر مما أوقعهم في الاختلاف في تحريم النبيذ وعدمه . ولم يتوصل العلم الى معرفة الغول وتجريده عن المواد المتخمرة الا بعد ان اكتشف العرب التصعيد والتقطير في القرن الثاني للهجرة فصعدوا الخمر وقطروها واستخرجوا منها الغول ويسمونه روح الخمر والعرقي والزئبق الحار . قال داود : العرقي هو المأخوذ عن الخمر بالتصعيد والتقطير ... ومن هذا يتميز لنا ان القرآن ذكر الغول بمعناه العلمي قبل ان يتوصل العلم الى اكتشافه وبيان خصائصه . وقد اخذه الفرنج عن العرب ونقلوه الى لغتهم بلفظه العربي ، و بالنظر لعدم وجود الغين في لغتهم استبدلوها بالكاف فقالوا بدلاً من ألغول ألكوهول . ثم لما جاء الأتراك وارادوا نقل العلوم من اللغات الاوربية الى لغتهم لم ينتبهوا الى ان أصل كلمة ألكوهول هي ألغول فقلبوها في نقلها الآتي حاء فصارت ألكحول . وقد شاعت لفظة الكحول على الالسنة حتى ظنها الناس صحيحة ، بينما انه لا يوجد لها اصل في اللغة يشير الى مدلولها . بانت كلمة الغول الفصحى غريبة لعدم تداولها وهي أجدر بالمودة والاستعمال .

والغول والحالة هذه هو المادة المسكرة الموجودة في الخمور ، والمعروفة باسم

الكحول او السبيرتو المامية ، والعولية هي الداء الذي يحصل من إدمان شرب المسكرات اي المشروبات التي فيها غول ، وهي كثيرة في هذا العصر . وتقسم الى قسمين : القسم الاول المشروبات الروحية . والقسم الثاني الخمور والانبذة .

المشروبات الروحية — . فالمشروبات الروحيـة هي الموائع التي تحتوي على اربعين الى ستين في المئة من الغول ، والباقي ماء ، وعلى روائح عطرية مختلفة . وأهم أنواعها العرق . ويستخرج من الخمر مع الآنيسون ، وهو مركب من غول وماء وعطر الآنيسون . ومنها القونياق ، وهو عرق الخمر الأبيض يحفظ مدة طويلة في براميل من خشب الصفصاف يكتسب منها رائحته ولونه . وقد سمي بالقونياق نسبة الى بلدة قونياق في فرنسا التي يصنع فيها . ومنها الروم (Rhum) وهو عرق نبيذ الكرز البري . ومن المشروبات الروحيـه الانواع المدعوة (Liqueurs) اي المشروبات الحلوة وهي الاشربة العولية الممزوجة بالماء والسكر وبعض الارواح العطرية ، واشهرها الاسنت اي مشروب الافسنتين والبتر والفرموت والشارتروز وغيرها .

الخمور — . اما الخمور فأهمهـا الخمر ، وهو عصير العنب المختمر ، وهو يحتوي على ثمانية أجزاء الى عشرين جزءاً في المئة من الغول وعلى خمسة وسبعين جزءاً ماء وعلى مواد زلالية وعفصية وملونة ، وعلى حوامض وعلى أملاح قلوية ترابية وعلى ارواح عطرية . ومنها الانبذة وهي الخمور التي تحصل من عصير غير العنب ، وانواعها كثيرة ، واسماؤها تختلف بحسب المواد التي تتألف منها ، وأشهرها : المزر او البيرا (الجعة) وهو نبيذ الشعير المعطر بحشيشة الدينار ، وهي تتركب من ثمانين جزءاً من الماء ومن ثلاثة الى ثمانية اجزاء من الغول ، وفيها

مواد سكرية وزلالية ودهنية واملاح قلوية ترابية وحوامض ، ومنها المصع . قال داود وهو نبيذالفواكه . ومن انواعه :السيدر ،وهو نبيذ التفاح ، والمواره ،هو نبيذ الأحاص ،ومنهاالرائب وهو نبيذاللبن وهو شائع الاستعمال في روسيا ويسمى الكوميس . وكمية الغول فيهذه الاشربة اقل مما هي في الخمر .

هذه هي الاشربة المسكرة المستعملة اليوم في جميع أقطار العالم ، وهي مركبة كما أوضحناه من عنصر أساسي مسكر خاص واحد هو الغول ، او روح الخمر ، وبه سميت هذه الاشربة المشروبات الروحية ، ومن عناصر أخرى مختلفة كالماء والمواد الزلالية والسكرية والعفصية والملونة والحوامض والاملاح والارواح العطرية . وهذه كلهـا معروفة الخواص وغير مقصودة بالذات . وتوجد في سائر الاشربة كالجلاب وشراب السفرجل والرمان والورد وغيرها بكميات وكيفيات مختلفة .

ومن هذه الخلاصة التحليلية يتبين لنا ان المشروبات الروحيـة او المسكرة لا تختلف عن سائر الاشربة المنعشة والمرطبة الا من جهة واحدة : هي وجود الغول فيها . فالخمر اذا جردناها من الغول تعود جلاباً لذةً للشاربين ، والعرقي اذا جردناه من الغول يصبح ماء معطراً كماء الزهر وماء الورد لا يصدع ولا يسكر . فالغول والحـالة هذه هو العنصر الاساسي المقصود من الاشربة الروحيـة ، هو الجوهر الفرد الذي تقوم به هذه الاشربة وتعز ، فهو منها بمثابة الروح من الجسد ، . كما ان قيمة الاجسام تقدر بحسب صفات نفوسها كذلك تقدر منافع الاشربة الروحية ومضارها بحسب خصائص الغول الذي فيها . اعني تأثيراته في كل من اجهزة الجسم البشري واعضائه . ولعمري ان هـذا المطلب وعر المسالك صعب المنال لما فيه من تضارب عظيم في الآراء واختلاف

شديد في المذاهب . فمن قائل مع ابي نواس :

ومقعد قوم قد مشى من شرابها　　واعمى سقيناه ثلاثاً فابصرا
واخرس لم ينطق ثلاثين حجة　　ادرنا عليه الكأس يوماً فهمرا

او مع ابن صاحب تكريت حيث يقول :

ولو رسم الراقي حروف اسمها على　　جبين مصاب جن أبرأه الرسم
ولو طرحوا في ظل حائط كرمها　　عليلاً وقد اشفى لفارقه السقم
ولو نضحوا منها على قبر ميت　　لعادت اليه الروح وانتعش الجسم

ومن مردد قول الصفدي :

دع الخمر فالراحات في ترك راحها　　وفي كأسها للمرء كسوة عار
فكم البست نفس الفتى بعد نورها　　مدارع قار في مدار عقار

ومن الاطباء من جعلها غذاء خيراً من الحنطة والعسل . ومنهم من صيرها ترياقاً فيه شفاء الروح والجسد . ومنهم من ذهب الى انها نار تحرق الاجسام ولا تبقي على الارواح . تهلك الحرث ولا تذر النسل . فليت شعري اي هذه الاقوال الصحيح . وايها اهدى للحق ؟ ومَن من هؤلاء الرجال المصيب ، ومن منهم المخطئ ؟ كلهم ايها السادة مصيب على حد قول الشاعر :

رأت بعينها ورأت بعيني .

وذلك لان كلا منهم نظر الى المسكرات بعين عقيدته الموروثة وهواه : (وعين الرضا عن كل عيب كليلة) . وللمعتقدات والعادات تأثير عظيم في تكييف الافعال العقلية وتوجيهها ، ولولا ذلك لما تباينت آراء الناس في المذاهب والاحكام والاخلاق ، فكم من حقيقة علمية كان العالم باسره يعتقد بعكسها ، حتى اذا ظهرت قاومها بالشدة والعنف ، مدفوعاً بعامل الشعور البهيم

الى ان خمدت سورة هذا الشعور الموروث وتغلبت قوة العقل عليه فأخذ يؤمن بصحتها هازئاً بخطأه الاول وجهله القديم . ونظرة عامة في صفحات التاريخ، تاريخ نشوء الافكار وتطورها ، تاريخ الكشوف العلمية والدعوات الدينية تكفي لادراك هذه الحقيقة الناصعة ، وللدلالة على ان صوت المجموع ليس هو على الدوام صوت الحق ،وان الفرد يرى بعين العقل مالا يراه المجموع بجهله وعاطفته الغريزية وان النور ينبثق من الفرد فيهتدي به الصالحون بادئ بدء ، ثم ينتشر الى ان يعم المجموع . هكذا قامت الدعوات الدينية ، وهكذا ظهرت الكشوف العلمية والانقلابات الاجتماعية ، ومن يجهل ما لاقاه دعاتها وهم على الحق والعالم على الباطل ، من ضروب الاضطهاد والهوان وانواع القتل والتعذيب ، وماهي الا دورة من دورات الفلك حتى انقلب الليل نهاراً، والباطل جولة ثم تضمحل . فاخذ الناس يدخلون في دين الحق افواجاً عالمهم ثم جاهلهم وصحيحهم ثم مريضهم، مقدسين من كذبوا بالامس يرفعون له التماثيل ، ويمجدونه بالمنعم الكبير والعالم الجليل ، هكذا كان شأن العالم مع الرسل والمصلحين ، وهكذا كان شأنهم مع سقراط وغاليله ، وهكذا شأنهم اليوم مع العلم والعلماء في الحكم على المسكرات .

الف الانسان الخمرة منذ آلاف السنين ، وعاقرها بعضهم حتى خامرت عقله ولبه وامتزجت بلحمه ودمه ، واصبحت عنصراً ضروريا من لوازم حياته ، فهي ماؤه وهي غذاؤه وهي راحه وهي ريحانه ، تجارتها اروج تجارة وصناعتها اعظم صناعة ، حتى ان من الامم العظمى من جعلها ثمرة حرثه وزرعه وقد عم الخطب بها حتى بات شربها مظهراً من مظاهر المدنية والحضارة وجفاؤها ضرباً من ضروب التوحش والغباوة ، وذلك حتى اواخر القرن الماضي

واوائل العصر الحاضر حيث اخذ العلم يستقري خواص الغول في الجسم البشري ، وما هي الا عشرات من السنين حتى ظهر للعلم بان العالم على باطل في معتقده في منافع الغول وحسناته . فأخذ يدعوهم الى تركه والايمان بمضاره وسيئاته . فليت شعري هل من غرابة اذا انكر الناس —والناس من وصفت— دعوته وسفهوا كلمته ، وصاحوا فو انا وجدنا آباءنا عليه عاكفين ، وقام باعته وصناعه يغرون الكتبة بالمال ليطفئوا نور العلم باقلامهم ويسودوا وجوه الصحف وصحائف الكتب باطراء منافع المسكرات ومضار تركها ولا حجة لهم سوى اعصاب الناس المتسممة ، ولا دليل سوى الهوى ، ولا عمل سوى قوة الخيال؟

ما في ذلك لعمر الحق غرابة ، فتلك نفرة طبيعية لم يخل من مثلها تطور من تطورات العالم الى يومنا هذا . واذا اضفنا الى هذه العوامل النفسية الحسية ، العوامل الاقتصادية والخسائر العظمى التي تنال بعض الامم من تعطيل صناعة المشروبات الروحية وهي تقدر بالملايين من الليرات تجلى لنا خطورة موقف العلماء اللاعوليين ، وهول جهاد دعاة المسكرات في معترك الدفاع الهائل ، يتجلى لنا كيف يتغلب صوت الحق الضعيف على جلبة الباطل الهائلة ، يتجلى لنا كيف بعث شرارة الحق الضئيلة في ظلمات غابات الباطل المتكاثفة فتضيئها رويداً رويداً الى ان تصبح شعلة متأججة من نور ، دعا العلم العالم في اوائل القرن الحاضر الى الايمان بمضار المسكرات ، فامتلأ باطل العالم غضباً وحنقاً ، وما هي الا سنوات معدودات حتى دخل في دين العلم اصح الناس احساماً واشدهم بالمحافظة على الحرية الشخصية تمسكاً وايماناً ، فغلوا حريتهم هذه بايديهم وهي ما عهد . . . . وقضوا على اموالهم بانه . . . . لا غرابة فقد سبق القول بان الحق يهتدي اليه العالم فالجاهل ، والصحيح فالمريض .

ومن العجب العجاب ان تقوم الحرب ضروساً في اوربا واميركا ، في بلاد المشروبات الروحية ومواطنها للقضاء على الغول وطرده وتطهير النفوس والاجسام من شروره ، فتفتح البلاد العربية لهذا الطريد الممقوت ابوابها كأنها استطابت هلاك الجسم فهي تريد ان تضيف اليه فساد النفس ، والنفس هي الاسم الباقي من ذلك الرسم العظيم الفاني .

فيا ايتها النفس الثملة ارجعي الى عقلك راضية نادمة ، وعلمي ان هذا الضيف الجديد اشد خطراً عليك من سائر العناصر الغريبة التي تعيث في ارضك ، والجراثيم القتالة التي تمتك في جسمك ، وذلك لان الارض مشاع والجسم موقوف ، واذا اردت شاهداً على صدق هذا القول ، فاستنطقي العلم ، والعلم هو الحق فهو يشهد ، يقول .

« كلمة العلوم الطبيعية والطبية الاخيرة في الغول »

صفاته — الغول جسم مائع لا لون له ذو رائحة خاصة وطعم حار محرق قابل للاشتعال ، يستخرج من الموائع السكرية والنشائية المختمرة كعصير العنب والتفاح والكمثري والشمندر وقصب السكر والتمر وغيرها ، وكمنقوع الشعير والحنطة والذرة والارز والبطاطا وغيرها . فان النشا يتحول فيها الى سكر ، وعندما يتم فعل التخمير هذه الموائع تتحول الى سوائل غولية يختلف مقدار الغول فيها من ستة الى عشرة في المائة . ويخرج هذا الغول منها بالتقطير بادوات خاصة منها الانبيق المعروف . وتختلف اسماؤه قبل تقاوته حسب مصدره . فالمستخرج من خمر العنب يسمى عرقياً والمستخرج من قصب السكر يسمى روما وهلم جرا

وللغول منافع عظيمة في عالم الصناعة فهو من اهم المحروقات ذات الحرارة

الشديدة وهو يذيب كثيراً من الارواح والعناصر الدهنية ويستعمل لاستحضار كثير من الموائع العطرية كالقلونيا وغير ذلك .

« استعماله في الطب »

اما استعماله في الطب كعلاج فيرجع تاريخه الى عام ١٨٦٠ ، واول من استعمله في ذلك التاريخ الطبيب روبرت تود في شرابه المسمى باسمه . فعالج به ذات الرئة ، ، وقد شاع استعماله منذ ذلك العهد في حل الامراض ، ولا سيما الحميات العفنية ، ووقع الافراط في وصفه شأن كل علاج جديد حتى ان من الاطباء من كان يصفه بمقادير عظيمة تجعل المريض في حال السكر الشديد . غير ان التجارب والمشاهدات لم تلبث ان أظهرت مضار الغول للعيان ، فخمدت هذه السورة العمياء واخذ الاطباء يقللون من وصف الغول في معالجاتهم ، ويحددون استعماله ومن العلماء اليوم من يحرم استعماله بتاتاً .

تأثيره الفسيولوجي — اما درس تأثير الغول الفسيولوجي فيرد تاريخه الى أواخر القرن التاسع عشر . وقد تخلل هذا الدرس صعوبات جمة ، منها ما هو ناشئ عن المعتقدات والآراء الخارجة عن العلم ، ومنها ما هو حاصل من اختلاف طرق التجارب العلمية ، تعدد أنواع الاشربة الروحية وتنوع تراكيبها . ومما يجب ملاحظته واعتباره في درس تأثير الغول الفسيولوجي . مدة استعماله ، والسن ، والجنس ، والطبع ، والوراثة ، وصحة الجسم ، وحالة الكبد ، والكليتين ، والجهاز الهضمي . وذلك لان لكل من هذه العوامل تأثيراً خاصاً في تكييف فعل الغول في الجسم البشري .

وقد تبين من التجارب التي قام بها الاستاذ بوشيه (Pouchet) ان الكمية اللازمة لقتل الانسان الكهل المعتدل الجسم الذي لم يألف شرب الغول

السنة ، هي ستة غرامات غولاً لكل كيلوغرام من وزنه ، فالرجل الذي وزنه خمسة وستون كيلو غراماً يقتل اذا شرب ٣٩٠ ثلاثمائة وتسعين غراماً من الغول الصرف اي تسعمائة غرام من العرقي اوالقونياق . وقد شاهد طفلاً عمره ستة أشهر أعطي شراباً فيه ملعقتا قهوة من القونياق فمات في تسع ساعات . و يختلف تأثير الغول حسب ما يكون صرفاً اوممزوجاً وبنسبة تمديد هذا المزج .

هل الغول غذاء — ومن أهم المسائل التي تنازعت فيها آراء علماء الفيسيولوجيا زمناً طويلاً مصير الغول في الجسم البشري . وهل هو غذاء كاللبن والسكر . فمن الاطباء من كان يقول بان الغول يحترق في الجسم كسائر الأغذية . ومنهم من قال بانه يجتاز الجسم اجتيازاً دون ان يتحول فيه تحولاً يستحق الذكر ومن دعاة الفريق الاول ليبيغ (Liebig) فهو يقول بان الغول يقوم في الغذاء مقام المواد السكرية والنشوية . وهو يفضلها و يفضل المواد الزلالية ايضاً كاللحم والبيض لان الغرام منه ينشر سبع سعرات (والسعرة هي الكالوري) بينما الغرام من اللحم والسكر لا ينشر سوى ثلاث سعرات ونصف الى اربع سعرات . وقد ظل هذا الخلاف قائماً ما بين الاطباء الى ان قام شوفو (Chauveau) عام ١٩٠١ بسلسلة تجارب على الحيوانات درس فيها قيمة الغول الغذائية بالنسبة الى المواد السكرية . وقد أسفرت هذه التجارب عن النتيجة الآتية :

ان ابدال قسم من السكر بقسم يعادله من الغول في قوام غذاء الرجل الذي يشتغل يحدث نقصاً في قيمة العمل العضلي المطلق .

وفي سنة ١٩٠٢ قام اتواتر وبنديك في اميركا بتجاربهما المشهورة ، وهي التي تقوم عليها أفكار العلم الحاضرة . وخلاصتها . ان الغول يحترق في

الجسم ، أعنا قسم صغير يفرز بواسطة الكليتين والجلد والرئتين » • ومما ان قيمة الاغذية كانت تقدر في ذلك العهد ، اي قبل الحرب العامة بمقدار السعرات ، اي الحرارة التي تحدثها • استفاد باعة الغول وتجاره من نتائج تجارب اتواتر وبنديك ، فاستثمروها لمصلحتهم • واخذوا يطرون منافع الغول الغذائية بالنشرات والصحف اليومية ، تحت عنوان : (الغول غذاء) ولكن لم تلبث هذه النظرية طويلاً حتى بدا خطأها • فقد برهن روبنير (Rubner) على ان الحرارة التي يحدثها الغذاء هي عرض ، وليست هي الغاية • وان نظرية تنظيم الاغذية بحسب مقدار الحرارة التي تحدثها فاسدة ، وان قيمة الغذاء تقدر بحسب ما يستفاد من قدرته في حصول الافعال الحيوية ضمن شرائط التغذية والحرارة الطبيعية ، ولو لم يكن الامر كذلك لساغ لنا ان نستعمل بدل غول الخمر غول البطاطا مثلاً الذي يستعمل للتنور لانه يحدث حرارة اكثر منه • هذا وقد صرح اتواتر بنفسه وكلمته هي كلمة سائر علماء الفسيولوجيا اليوم ، بانه اذا كان الغول يعد غذاء فهو غذاء سيء ، غذاء مكروه ، لانه يخرب الجسم اثناء استعماله فيه • هذه آخر كلمة علم الفسيولوجيا في أهم خاصة كان يتمتع بها الغول حتى اواخر الحرب العامة • ولننظر الآن في تأثيره في أجهزة الجسم البشري كل منها على حدة •

تأثير الغول في الجهاز الهضمي — عندما يشرب المرء جرعة خفيفة من الغول يشعر في ناحية معدته بحرارة لطيفة ، اما اذا كانت الجرعة كبيرة فان هذا الحس يكون سيئاً ، • اذا تجرع الانسان الصحيح مقدار خمسة غرامات اي درهماً ونصف درهم • من الغول الممدد بالماء بنسبة ثلثيه فان هذه الكمية تحدث زيادة في الافرازات المعدية الهاضمة • اما اذا أدمن الانسان الشرب ،

فان كمية الافرازات المعدية تنقص و يقل فيها فعل الهضم وتتصلب أنسجة المعدة وتنشأ عنها الالتهابات ،سوء الهضم المزمن والقيء الذي يشاهد غالبًا عند السكيرين .

تأثيره في الدم — عندما تمتص المعدة الغول يدخل الدم فيجفف ماءه و يخرب من كرياته الحمراء و يزيد في عدد كرياته البيضاء ويتحد مع اوكسيجين الدم ليتحول الى حامض خلي وخلات الصودا فتنقص قلوية الدم وتتوقف المبادلات الحيوية .

تأثيره في الجهاز الدوراني — ان الجرعات المتوسطة من الغول تحدث بادئ بدء زيادة في عدد الضربات القلبية لا تلبث ان يعقبها تناقص . و يزداد الضغط الدموي في بادئ الامر ثم يخف . اما اذا كانت الجرعات كبيرة،فان فعل الغول الفالج يظهر حينئذ جليًا وتتناقص سعة ضربات القلب و يخف الضغط الدموي و يقع عدم الانتظام في الحركة القلبية . ويحدث إدمان الغول تصلبًا في الشرايين الشعرية وفي الاوردة ولاسيما أوردة الاطراف السفلية ، وعصيدة في أوعية الدماغ تنشأ عنها جميعًا امراض القلب واوجاع الساقين والفالج .

تأثيره في الجهاز التنفسي — ان الجرعة الخفيفة من الغول تزيد في سرعة التنفس وسعته ، و كمية امتصاص الاوكسيجين ، ونفذ حامض الفحم،ويعقب هذا التزايد نقص في هذه الافعال ولا سيما اذا كررت الجرعات فيحصل بطء في التنفس و يصير سطحيًا وتنقص المبادلات التنفسية فتمرض الرئة بالالتهابات كذات القصبات المزمنة ،ذات الرئة والعرء بنا والسل الرئوي . اما تأثير

الغول في الحنجرة فانه يحدث فيهـا التهاباً مزمناً يولد خشونة في الصوت يُعرف مدمنو السكر منها لاول وهلة ·

تأثيره في الحرارة والمبادلات —· يعتقد كثير من الناس ان الغول يزيد في حرارة الجسم ، فهذا الاعتقاد باطل مخـالف للحقيقة ، فان الجرعة الخفيفة من الغول لا تحدث تبدلاً في حرارة الجسم · اما الجرعات الكبيرة فقد سبق لنا القول بانها تحدث بطأ في ضربات القلب، وهبوطاً في ضغط الدم ، وتوقفاً في المبادلات الدموية · فينتج عن ذلك هبوط في حرارة الجسم · قال الاستاذ بوشه : « تهبط الحرارة المركزية عند الثملين الى درجة ٣٠ او ٢٦ وهو هبوط عظيم » · ولهذا يحظر الطب استعمالـ المشروبات الغولية في الاسفار الباردة لان الحرارة التي يشعر بها الشارب هي حرارة وهمية ، وضحـايا القونياق في الاسفار الباردة عظيمة ومشهورة ·

تأثيره في اعضاء التنـاسل —· قال لانسرو (Lancereaux) ان ادمان الغول يحدث ضمور المبيض عند المرأة · وقال برتوله (Bertholet) شاهدت اثنـاء تشريح جثث مدمني السكر ضموراً وتصلباً في الخصى ولم أشاهد الحويبات المنوية في ست وثمانين من المئة من الحوادث التي شرحتها ، وهذا يوضح لنا اسباب العقم والعنة المشهودين عند كثير من مدمني الغول ·

تأثيره في الكبد —· ان التسمم المزمن بالغول يحدث تخريباً عظيماً في خليات الكبد والنسيج الخلالي ، و ينشأ عن هذا التخريب امراض كثيرة ، منها اليرقان الخبيث ، منها تورم الكبد وتشمعه وتضخمه وضموره ، وتشمعه والاستسقاء ونزيف الدم المعوي والبواسير ·

افراز الغول — ان التجارب التي قام بها نيكلو (Nicloux) واقرها مجمع العلوم اثبتت ان الغول يفرز بواسطة البلغم واللعاب وعصارة (البنكرآس) والصفراء ومائع النخاع الشوكي والمني واللبن عند المرضع والمبيض والبرومئات والمشيمة ، فان الرجل الذي يلامس امرأته في حال السكر يفرز حوينات منوية ثملة يأتي ولده من تأثيرها معرضاً لداء الصرع وللالتهابات الدماغية . وان المرأة التي تجرع قبل الولادة بساعة مقداراً من القوبياق يشاهد الغول في دم الجنين بعد الولادة ، وان المرأة التي ترضع ولدها وهي سكرى ، تسكره وتعرضه لامراض عصبية وخيمة . وقد اهتمت الام المتمدنة اهتماماً عظيماً لهذه النتائج العلمية لما لها من العلاقة الكبرى في تربية الاطفال واصلاح النسل .

تأثير الغول في الجهاز العصبي — ان للغول ولوعاً خاصاً بالاعصاب فهو يؤثر فيها مباشرة فينبهها بادئ بدء ثم يحدث فيها خدراً فاسترخاء فالفالج حسب قلة الكمية المأخوذة وكثرتها . وقد تبين من التجارب التي قام بها اخيراً هان ماير : ان للغول تأثيراً كيماوياً في الاعصاب ، فهو يذيب شحومها ويحدث انقباضاً في زوائد العصيبات فيضعف فعلها ثم يبطله ، فالغول والحالة هذه مخدر غير منبه كما يظن ، وما النشاط الموقوت الذي يشعر به الثمل بادئ بدء الا فعل منعكس عن اعضاء الحس ولاسيما الذوق ، وقد اظهرت التجارب العلمية ان الكمية المتوسطة من الغول التي لا تتجاوز العشرة دراهم تساعد برهة قليلة على زيادة العمل ولكن هذه الزيادة لا تلبث اكثر من عشرين دقيقة حتى تتلاشى ويعقبها نقص في القوة العضلية ، وقد ابدت تجارب اندية الرياضة البدنية ومشاهداتها هذه الحقيقة العلمية . والغول مبطل للحس خلافاً لما يدعيه شاربوه من ان

احساسهم يزداد بشربه، اما سبب ادعائهم هذا فناشئ عن نقص شعورهم بفعل الغول المخدر ، فالثمل لايحس بالألم ، وقد استخدم الجراحون هذه الخاصة قديماً لتخدير المرضى لاجراء العمليات الجراحية الكبيرة ٠

اما الحالات المرضية التي تنشأ عن هذه التأثيرات فاهمها : الرعشة والآلام العصبية وذات الاعصاب المجتمعة ووهن الاعصاب والفالج ٠ واذا استطلعنا احوال عشرة اشخاص من معاقري المشروبات الروحية نجد ان الثمانية منهم يشكون وهناً في عضلاتهم وهبوطاً في قوامم الحسية والعقلية وثقلاً في رؤوسهم وتغيراً في طباعهم اهمه الحدة وسرعة الضجر ، واذا قلت لهم ان هذه الاعراض ناشئة عن شرب المسكر يجيبونك سلباً بان هذه الاحوال تزول ثباتاً بشرب الغول ، وما ذلك الا لان الغول مبطل للحس ، وهل من شعور لمن بطل حسه ٠

قال لغران (Legrain) في كتاب التسممات من مجموعة الامراض الباطنة والمداواة المطبوع سنة ١٩٢٢ « ان اصغر كمية من الغول تحدث اضطراباً في الافعال الدماغية الطبيعية ، واذا كان هذا الاضطراب لا يقع تحت ادراك حواسنا لدقته فهو يبدو لنا جلياً عندما تزداد كمية الغول ، ويؤول عواة الغول هذه الاختلالات الدماغية تأويلاً مخالفاً للحقائق العلمية مستندين الى الحس الذاتي المتسمم وهل للمريض من شهادة تقبل مغمضين الطرف عن تجارب العلم ومشاهداته ، واهم هذه الدعايات المخالفة للعلم هي ان الغول منبه ومنشط ، على حين اثبتت التجارب انه مخدر ومنوم ٠ اما النشاط الذي يشعر به السكيرون فما هو الا اشارة الى اختلال الموازنة في الملكات النفسية العصبية ، فهو خطأ حسي متولد من تخدير قوة المراقبة النفسية » ومن النوادر التي تروى عن ابي نواس وهي تدل دلالة واضحة على نقص ملكة الشعور الداخلي وتسلطها ساء السكر ، اروي

من انه شوهد يوماً يضحك من رجل سكران اقيه في الطريق ويسخر به ، فقيل له لم تهزأ به وانت في كل يوم مثله : فاجاب اني والله لم اشاهد في حياتي سكراناً قبله ، وذلك اني اول من يسكر وآخر من يصحا .

تأثيره في الاخلاق — اما السكر المزمن فانه يقود حتماً الى فساد الطباع والغرائز وضعف الفاعلية وفساد الانفعالية ، فيعتري المرء الضجر والملل ويصبح شرس الخلق ، لا ثبات له على العمل المنتج ، ويفقد الشعور العيالي فلا يهتم بواجباته الزوجية ويهمل مصالح بنيه ، و ينحصر همه في الحصول على ما يتطلبه من الغول بدافع الاحتياج الحسمي ، وكثيراً مايقوده هذا الاحتياج الى بذل ماء وجهه ومعاشرة الادنياء والسفهاء ، وفقد الغيرة على العرض وارتكاب الجرائم الذنيئة الدنيا ، ثم تضعف ملكاته العقلية رويداً رويداً ، وتعتريه الهذيانات العارضة والاوهام ، والصرع والعنة الى غير ذلك من انواع الجنون ، ونظرة خفيفة في احصاآت مستشفيات الامراض الباطنة ودور المجانين واحصاآت السجون والمحاكم ، وجولة خفيفة ما بين جدران هذه المصانع العامة تكفي لتأييد هذه الحقائق العلمية الراهنة . فان القسم الاوفر من الجناة والمجانين والمرضى بالآفات العصبية والقلبية والاستسقاء هم ضحايا الغول ، ضحايا المشروبات الروحية ، قال غلادستون : وحسبي بقول هذا السياسي الانكليزي الشهير حجة على صحة ما قدمت « ان مضار الغول تربو كثيراً على مضار الطاعون والحروب معاً » . « ولا غرو فقد قال لغران (Legrain) فاننا اذا جمعنا ماتنفقه الامة الواحدة من الاموال لشراء المواد الاولى الخاصة بصنع الغول كالعنب والحبوب والثمار السكرية وما تتكبده من النفقات على دور المجانين وعلى حياة

النفوس التي تقصفها المنون قبل ابناعها ، وعلى العاهات الوراثية ، وعلى المتشردين وعلى الجناة ، الذين كان الغول علة آثامهم وآلامهم ، نجد امامنا مجموعاً يربو على المليار من الفرنكات ، تقف امامه نفقات الحرب العالمية الكبرى وضحاياها صغيرة حقيرة ضئيلة ، مما أهاب بالحكومات و بالعلماء ، والقسم المتعلم من الامم ، ودفعهم الى أن ينادوا بملء افواههم العدو الداخلي هو الغول . »

تلك كلمتي ايهـا السادة في تأثير الغول في جسم الفرد . اما مضاره في نفسيته وفي الاسرة وفي الامة فهي ادهى وانكى .

***

عرف الانسان الخمرة بسائق المصادفة وعشقها منذ العصور الاولى وذلك لانه كان يأكل الثمار السكرية الطعم ومنها العنب و يتلذذ بحلاوتها . وبما أن هذه الثمار موقوتة لا تدوم ادخرها الانسان مدفوعاً بعامل اللذة . فكانت تختمر فيأكلها مختمرة فيشعر بتأثيرها فيطرب وتزهو به سورتها فيكثر من الاكل منها الى ان يسكر . وكان كلما نال منها وطراً يجد في وصلها طلباً . وكلما رشف منها وشلاً تلظى لكاسها ظماً . وكلما ارتقى في الحضارة باعاً زاد في صناعتها ابداعاً صنوفاً وانواعاً . الى ان اهتدى منها بواسطة الجسم الى الروح اي من الخمر الى الغول فأسلم له روحه وجسده وماله وولده .

هكذا انتقل الانسان من السكَر الى السكر ، ومن الحقيقة الى الخيال ، ومن اللذة الحسية ، الى النشوة النفسية ، ومن حرية الارادة ، الى إسار العادة ، ومن ماء الحياة الى داء الغول . وهكذا عرف الخمرة وعشقها ، وهام بها وعبدها ، فهي الصحة وهي المرض ، وهي المسرة وهي الألم ، وهي السعادة

وهي الشقاء ، وهي الحياة وهي الممات . فأعجب بها من معشوقة ممقوتة ، وممدوحة مذمومة ، وأسيرة مليكة ، وطريدة مشودة ، ومساحة محرمة ، وعاهرة مشرّفة ، لا يضنيها الوصل ، ولا يفسد من ملامحها الدهر . يأتيها المرء لاول مرة مجاملة او تشبهاً ، ثم طوعاً وتشوقاً ، ثم كرهاً مغلوباً على امره . فليت شعري ما علة هذا بذلك الممنوع . وما السر في هوى بنت الغواية والهوى ؟

الاسباب : منها ما هو حيوي ، ومنها ماهو اجتماعي ، ومنها ماهو نفساني ، فمن الاسباب الحيوية الوراثة ، فقد اثبتت المشاهدات العلمية ان لنسل الغوليين استعداداً خاصاً لتعاطي المسكرات . ولهذا كان احتياج الغربيين أشدّ الى شرب الخمور من احتياج الشرقيين بدافع العامل الوراثي . ومن الاسباب الاجتماعية البيئة ، فان الوسط الاجتماعي المؤتلف شرب الخمور ادعى الى انتشار معاقرتها من الوسط الذي يحرمها قانوناً او شريعةً او عادة ، ومنها المعتقدات والعدوى الأخلاقية وحب التقليد والمجاملات في الاجتماعات الخاصة والعامة .

ومن الاسباب النفسانية، وهي لعمري العامل الأقوى في انتشار المسكرات مابين جميع العناصر البشرية على اختلاف الأجيال . طلب السعادة ، واي سعادة ، السعادة الخيالية ، ولا غرو فهل السعادة الا الارتياح النفسي الذي يحدث عندما تحقق اهواء الانسان الكامنة في النفس ، وبعبارة أفصح هل هي سوى ارضاء الرغبات النفسية ، وما أدراك ما الرغبات النفسية : هي الميل الغريزي والشهوات الحيوانية والاهواء المادية والمعنوية الشريفة والدنية، ولما كان تحقيق هذا الميل متعذراً لان التقاليد والعادات والظواهر الاجتماعية والشرائع الدينية ، والانظمة والقوانين الادارية ، تحظر على المرء إتيان

ما يخالفها مما تشتهيه نفسه و يصبو له قلبه، وتضطره الى كتمان ميله وشهوته وقهر مطامعه ومطامحه ، لان من الاولى مايستوجب الخزي والعار ، ومن الاخرى ما يستدعي القصاص والدمار ، فلا تبيح للوضيع الطموح ان يكون ملكاً تعنو له الرقاب ولاللفقير ان يكون غنياً يتنعم برغد العيش وأبهة الحياة ، ولا للغني ان يدفع بماله مرضاً عضالاً او يستهوي به قلب غادة فتانة ، أسرته لحاظها ، وأقصاه عنها عفافها ، ولا للعاشق ان يغازل عشيقته على مرأى من الناس او مسمع منهم ، ولا للقوي ان يبطش بالضعيف بيده ليشفي بطشه غله ، ولا للجائع ان يمد يده لرغيف على قارعة الطريق فيسد به رمقه ، ولا للصديق ان يمس حرم صديقه بسوء وفي قلبه نار تتأجج من الحب والهوى . الى غير ذلك من الامثلة التي لا يقع عليها حصر . لما كان تحقيق كل هذه الأهواء متعذراً أصبحت السعادة البشرية محدودة جداً على وجه هذه البسيطة . وهي نسبية شخصية و بات الشقاء البشري عاماً لا يخفف وطأته الا الايمان بالسعادة الاخروية وفسحة الامل .

واذا استقرأنا العامل الاساسي الذي يقف في وجه هذه الاهواء ويمنعها من الظهور والتحقق فيسبب بهذا المنع تملل النفس وكآبتها ، نجد انه هو العقل . فالعقل هو القوة الوحيدة التي تردع الانسان عن خرق القوانين و لأحكام ، ومخالفة التقاليد والعادات ، وهتك الشرائع والاديان ، وتحمله على حرمتها ورعايتها هو الحاجز المانع الذي يقف في وجه الاهواء المخالفة للآداب والتاريخ والشرائع . فيمنعها من الظهور في حيز الشعور ، ويحصرها في سويداء النفس في عالم اللاشعور ، حيث لا تفنى بل تستحيل الى قوى كامنة مبهمة لاشعورية ، تتكيف بحسبها طبيعة الانسان ، وتظل في جدال عنيف

دائم مع العقل بغية الظهور والتحقق ، فينشأ عن هذا الجدال اللاشعوري عدم الاطمئنان النفسي وذلك الفراغ الباطني المبهم الذي قلما يهتدي المرء الى تعليله وايضاحه . فالعقل هو والحالة هذه علة شقاء الانسان ، وبعبارة اخرى اخذ الانسان يشعر بالشقاء منذ بدأ بالانسانية ، اي منذ خرج من الحيوانية ، وبدأ يعقل . ولا مشاحة فى ان الانظمة والقوانين والتكاليف الحيوية الشديدة التي يتململ منها اليوم كل انسان الا وليدة العقل وهل سوى القوة العاقلة ، يحمل الانسان على حرمتها ورعايتها . وقد ادرك السلف منذ العصور القديمة كنه هذه الحقيقة ، فجعلوا السعادة المطلقة في بعض انواع الجنون ، من ذلك قول الشاعر : ما لذة العيش الا للمجانين .

وقول المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله   واخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وقوله :

تصفو الحياة لجاهل او غافل   عما مضى منها وما يتوقع

وقوله . وبعض العقل عقال :

وقول ابي جعفر القمي :

تحامق تطب عيشاً ولاتك عاقلاً   فعقل الفتى في ذا الزمان عدوه

ولابي الربيع محمد بن علي الصفار الملحي :

طاب عيش الرقيع فى ذا الزمان   وللجهول المغفول والصفعان

وانشد ابو منصور مهلهل بن علي الغنوي :

الروح والراحة في الحمق   وفي زوال العقل والخرق

فمن اراد العيش في راحة   فليلزم الجهل مع الحمق

وجاء في النظرات للمنفلوطي في وصفه الحياة الشعرية « يقولون اشقى الناس في هذه الحياة العقلاء ، و يقولون ما لذة العيش الا للمجانين ، اتدري لماذا ؟ لان نصيب الاولين من الحياة الشعرية اضعف من نصيب الآخرين . وذلك ان عقل العاقل يحول بينه وبين استمرار الطيران في فضاء الخيالات الذهنية ، والمغالطات الشعرية ، فلا يرى سوى مابين يديه من الحقائق الملموسة . ولا يسمح له علمه باحوال الدنيا وشؤونها ، ومعرفته ان المصائب والآلام ، لازم من لوازمها التي لا تفارقها ، ان يؤمل منها ما ليس في طبيعتها من دوام السرور واستمرار الهناء ، فلا يطلب سعة العيش من وراء الأمل كبقية المؤملين ، ولا يتلذذ بتصديق مالا يكون تلذذ المجانين » .

ولما كانت الغرائز الحيوانية تأبى ان تضمحل وتفنى بتأثير العقل . توخى الانسان منذ العصور الاولى ان يتملص من قيود عقله ، ليتجرد عن آلامه ومتاعبه الجسمية والروحية فاهتدى الى عدة مواد ذات تأثير خاص في مراكز جهازه العصبي الدنيا والعليا فتخدرها وتضعفها ، اهمها الأفيون والحشيش والكوكائين والغول الذي نحن في صدده . وقد تفرد الانسان دون سائر الحيوانات بسم دماغه بارادته قصد تخديره لتفكيك قيوده العقلية . والحصول على النشوة التي ليست في الحقيقة الا سعادة خيالية مرضية وبعبارة أصح جنوناً اختيارياً موقوتاً .

قال المنفلوطي في كلمته الحياة الشعرية : لولا حب الحياة الشعرية ما وجد في الناس كثير من المولعين بتخدير أعصابهم . كشاربي الخمر ، ومدخني الحشيشة ، وآكلي الافيون وهي وان كانت في نظرهم حياة سعادة يتخللها شقاء . الا انها خير عندهم من حياة شقاء لا يتخللها سعادة . ولولا حب الحياة الشعرية ماوُجد

في الناس هذا الجم الغفير من الشعراء المتخيلين والعابدين المتبتلين ٠

لا يجد السكير لذة العيش وهنأته الا اذا أسلم نفسه الى كأس الشراب فنقلته من هذا العالم البسيط المحدود ، الى عالم واسع النطاق ، شاسع الاطراف يرى فيه كل ماتشتهي نفسه ان تراه ٠ فان كان قبيح الوجه مشوه الخلقة ، تخيل انه شرك الابصار وفتنة النظار ، وان القلوب محلقة على جماله ، تحليق الأطيار على الأشجار ، وان كان فقيراً معدماً لايملك فلساً واحداً توهم انه جالس على عرش الملك ، والصولجان في يمينه ، والتاج فوق رأسه ٠ واعتقد ان عبيد الله تعالى جميعهم عبيده ، وجنود المملكة بأسرهم جنوده حتى ذلك الجندي الذي يسحبه على وجهه الى غرفة السجن ليقضي فيها ليلته ٠

وجملة القول ، ان عينه لا تقع على ما يحزنه من المنظورات ، وان اذنه لا تسمع ماينفره من المسموعات حتى ليرى الجمال الباهر في وجه العجوز الشمطاء ٠ ويسمع في صوت الرعد القاصف ألحان الغناء ٠

فالسكر والحالة هذه جنون عارض يتصف بتغيير الأعمال النفسية من درجة النشاط الى التشوش والاختلاط ، الى الفساد والهذيان ، الى الخدر والخمل ، حسب كمية المادة المسكرة وكيفيتها وحالة الشارب ومزاجه ٠ واليكم صورة مصغرة للانسان الذي يتعاطى شرب الغول حسب الادوار الحادة التي يجتازها ٠ وهي تقسم الى خمسة أدوار : دور النشوة ودور الثمل ودور السكر ودور السبات ودور الفالج ٠

فالنشوة ايها السادة هي الحالة النفسية التي يشعر بها الانسان عندما يتجرع القليل من الغول ٠ او هي الدرجة الاولى من السكر ٠ وهي تشبه باعراضها النوع الجنوني المعروف بالمانيا او الجنون السبعي ٠ وتتصف بنشاط الجسم

وانطلاق الافكار . فيتورد الوجه وتضيء العينان ، ويزداد عدد الضربات القلبية ، والمبادلات النفسية ، ويخدر الاعصاب ، وتسكن الآلام . ويشعر المرء بحرارة لطيفة في جميع اعضائه ، وخفة في جسمه ، ويخيل اليه ان قواه قد زادت ، وانه أقدر على العمل من ذي قبل ، وينطلق لسانه ويكثر كلامه وتتوارد خواطره وأفكاره ، مع ضعف في روابطها ، وعدم تناسق في تداعيها . وتتوقد الذاكرة وتسرح المخيلة . فيذكر ما كان ناسياً ويبتدع من الصور الخيالية ما لا يقوى على مثله في حال صحوه . فتراه يكثر من الكلام المنمق ، والمجاز والامثال والكنايات والنقد . اما محاكمته وتمييزه فيستولي عليهما الضعف والخفة فتأتي قياساته داعية لسرعة الحكم ، وتحول النباهة والعجز عن اعمال الذهن والتأمل . وبالنظر لحذر الناقدة والمراقبة تنطلق اهواؤه المحصورة من قيودها . فتتجلى ثمة حقيقته الجبلية . فيبوح بكثير من اسراره التي طالما حرص على كتمانها . ولهذا قيل الغول ، معيار الاشخاص ، ومحك الطبائع . ويعتري السكير في هذا الدور الغرور والأنانية والغطرسة ، فيمسي سريع الانفعال ميالاً للبطش والمشاجرة . محباً للمدح والثناء الذين يدفعانه الى الكرم والاسراف . والغول يحل التوازن القائم ما بين ظاهر المرء الصنعي وباطنه المكتوم . ومن الخطإ الفادح ان يظن الناس انه يكسب المرء فضائل ليست فيه موجودة لان الاناء لا ينضح الا بما فيه . ولما كانت طبائع الناس وأخلاقهم ونزعاتهم الجبلية والكسبية ، مختلفة لا يقع عليها الحصر أصبح من المتعذر وضع صورة عامة تنطبق على كل امرئ في حال النشوة الغولية . ولهذا يمكننا القول بان لكل انسان صورة خاصة يتمثل بها اثناء السكر ، وان الغول خير كشاف لاسرار البشر وحقيقتهم ، وهو عدو الكتمان . وكثيرا مايتوصل به

الدعاة الى اكتشاف الاسرار الدفينة سياسية وغرامية وحمائية .

تلك النشوة الغولية ايها السادة وهي كما اوضحناه حالة نفسية متصفة باختلال قوة العقل والمراقبة ، وانطلاق الملكات النفسية الفكرية الشاعرة ، والبهيمية على اهوائها ، وهي الدور الاول من السكر ، دور اللذة والنشاط ، والحرية النفسية والخيال ، دور الانطلاق والانشراح ، المتعارف في الاندية والمجتمعات العامة والحفلات الرسمية والخاصة ، ويسمونه العادة المعتدلة والسكر الادبي والكأس المشهية . اما في لغة العلم فهو جملة اعراض سم الدماغ الغولي الاولى ، او الجُنة السمية الغولية الخفيفة .

واذا كان القسم المحتشم ذو الثقافة الاجتماعية من الناس ، يقف عند هذا الحد من النشوة ، فان القسم الآخر منهم يتعداه الى الدور الثاني ، دور الثمل ، دور سم الحواس والمشاعر ، ويتصف هـذا الدور بخمود النشاط الفكري السابق وانطلاق الانفعالية والحواس والمشاعر ، وخدر الحس والشعور الاخلاقي . فالنشوان شارد الفكر والعواطف اما الثمل فهو طـائش الشهوات والغرائز ، لا سيما الحس التناسلي ، فان هذه الشهوات تستولي على انانيته وتدفعه الى اظهارها ، هازئة بالتقاليد والآداب العامة ، فيهبط من المعنويات الى الحسيات ، و يتعرض لما فيـه مساس بالشرف والعفاف . وما حوادث السب والشتم والضرب والقتل ، في سبيل المرأة في المراقص وعلى موائد السكر عنا بغريبة ، واذا اضفنا الى هذه الاعراض نشاط الشعور الغامض وهو القسوة والخيلاء وسرعة التهيج وعدم الشعور بالواجب تجلى لنـا صورة الثمـل باجلى مظاهرها . اما المدارك العقلية فانها تخمد ما عدى المخيلة فانها تنطلق بصورة خاصة ، فيأخذ الثمل بالثرثرة وخلق الاساطير ، وادعاء ما ليس فيه مما لا يختلف

عما يشاهد في الهذيانات الحادة على اختلاف صورها وموضوعاتها .

وتزداد هذه الاعراض بازدياد تجرع العول فتظهر في نهاية هذا الدور اعراض تأثير السم في اعصاب الحركة . فيختل نظام الحركات العضلية وتفقد دقتها ، وتعتري السكير الرعشة والاضطراب فلا يتماسك في المشي ، وتختل موازنته ، ويسترخي كلامه ، ويتداعى الى الجمود والخمود الفكري والحسي الى ان يدخل الدور الرابع دور السبات ، دور النوم والخدر الدال دلالة واضحة على ان المسكرات الغولية مخدرة وليست منبهة كما كان يظن ، وانها من فصيلة الافيون والحشيش ، فيفقد السكير ثمة قواه الحركة ويصبح عاجزاً عن المشي فيقع حيثما يهوي به السكر ، خائر القوى محني الرأس والظهر ، ساقط الاجفان غامض الحس والشعور والادراك ، غارقاً في بحران مظلم من الحياة الذاتية المبهمة ، يقبض بيديه على ما حوله من اشياء وهمية او حقيقية ، كأنه يحاول التملص من هذا الكابوس النومي القاهر ولكن هيهات هيهات فما هي الا هنيهات من الزمن ، حتى يستولي السم على جميع اعصاب الحس والحركة فيفقدها حياتها العملية . وينزل بالسكير من درجة الحيوان الى مصاف النبات .

وهنا يتمثل لنا الدور الاخير من هذه المأساة المفجعة ، دور الفالج ، فيتراءى لنا ذلك البشر السوي الذي كان بهجة النظر قبل ساعات قليلة جثة هامدة بلا حراك ، ليس فيها ما ينم عن الحياة سوى انفاس خشنة تتصعد ، ونبضات قلب خائر نائم ، تنتشر منها روائح كريهة لفلج مصرفي البول والغائط مما تقذى لمظره الاعين ، وتمج وصفه الآذان .

هذا هو السكر الحاد ايها السادة وتلك هي الحالات النفسية التي تتجلى بها السكير منذ اول قطرة يتجرعها حتى الكأس الاخيرة ، وهي تشبه من حيث

مجموعها ونتائجها اهوال سفينة في عرض البحر اصابها اعصار شديد افقدها توازنها فظلت في صعود وهبوط ، واقدام واحجام وتمايل واضطراب وظلام اذا اخرج المرء يده لم يكد يراها ، الى ان سكنت العاصفة فعاد اليها سكونها واصبحت كأنه لم يطرأ عليها حادث بالامس ، اللهم عدا ما يعتري روابطها من خلل ضئيل ، قد لا يضر بسيرها فيما اذا لم تتوال عليها الزوابع ، وفيما اذا كانت اوائلها محكمة الروابط ، سالمة متينة . اما اذا راجعها الاعصار من حين الى آخر وكانت اجهزتها سقيمة ، وغير محكمة الرباط فانها لا تلبث ان تخرب وتصير الى الغرق .

وهكذا غد السكير ايها السادة فان الاعراض التي اتيت على ذكرها ، تتلاشى رويداً رويداً باحتراق الغول في الجسم وطرده منه بالافراز والمبادلات عن اختلاف اعضائها فيعود للمرء صحوه ونشاطه السابق ، غير ان ذلك الاحتراق والافراز وتلك المبادلات والاضطرابات لا بد لها من أن تترك اثر تخريب ضئيل في تلك الاعضاء ، قد لا يشعر به المرء بادئ بدء لدقته ولكنه يتفاقم ويظهر كلما تكرر حادث النشوة والسكر ، وبنسبة كمية الغول وكيفيته ، والزمن والبنية ومقاومة الجسم . فتبدأ ثمة اعراض داء السكر المزمن او الغولية وهي داء عضال ينذر بتغلب الغول على قوى الجسم وعجز هذه القوى عن طرد هذا السم الداقم . ويدل دلالة واضحة على ان تلك المسرة الاولى او الرشفة المشهية الصحية المباحة لا بد لها من ان تترك اثراً في الجسم يتفاقم بحسب تكررها فتنشأ عنه حسرات وآلام تدمي صاحبها تلك الاحلام فيندم ولات ساعة مندم . وقد اثبت الدكتور ميلانبي (Mellanby) تراكم فعل المقادير القابلة من الغول في الجسم واضرارها ، في بيان اعمال وزارة مراقبة الغول في انكلترا المنشور عام

١٩١٨ كما اثبتت احصاآت شركات ضمان الحياة الانكليزية والاميركية والسويسرية والالمانية ، ان الذين يشربون الماء الصرف الخالص اطول اعماراً من الذين يتناولون المشروبات الغولية بالصورة المعتدلة ، اقول بالصورة المعتدلة لان هذه الشركات ترفض ضمان حياة السكيرين المدمنين ، وتعد هذه الاحصاآت اليوم حقائق علمية راهنة لانها قائمة على اسس من المشاهدات مكينة وعلى نطاق واسع عظيم من الناس ، ولان نتائجها كانت ثابتة ومتقاربة على اختلاف الازمنة والاماكن .

العولية — . وبدأ داء السكر المزمن او العولية عندما يصبح الدماغ عاجزاً عن تحمل فعل الغول . ويتجلى بتغير في طباع المرء واخلاقه ، فترى ذلك الشاب المهذب الذي كان طوال حياته حتى اليوم مثالاً للنشاط والجد وحسن السلوك والمعاشرة ، والحرص على القيام بالواجب يحاول الشرود والتملص من طباعه وعاداته متجهاً نحو حياة ذاتية وانانية بحتة ، فيعاشر من لم يكن يأتلف معهم من الناس ، و يتقطع عن ارتياد داره في الاوقات المعتادة ، وتخشن معاملته ذويه ، ويهمل واجبه نحو اسرته ، ويكثر تردده على المقاهي والحانات ، حيث يلذ له شرب المسكر ، ولعب الميسر . وقد حمل فريق من الحكماء هذا العته الاخلاقي العرض الاساسي للعولية المزمنة . وقد دعوها الجنون الاخلاقي المكتسب . وذلك لان الاختلال يعم فيها جميع اقسام الفعالية الاخلاقية ، وهي علاقات المرء مع نفسه ومع اسرته ومع غيره وعلاقاته الاجتماعية والصناعية .

اما علائم فساد العلاقات الذاتية فاهمها : عدم احترام الذات وعدم الاكتراث بها ، وفقد الاباء والشرف والمروءة والنخوة والوجدان والنزاهة

والعفة ، والنظافة والحشمة وحس الجمال ، وحرمة المبادئ العامة الدينية والاجتماعية . ومن علائم فساد علاقاته بأسرته : فقد الحب والامانة الزوجية ، والشعور بالواجب العيالي ، وغريزة التناسل والاهتمام بتهذيب الاولاد والحنو الغريزي الابوي ، والتوقي والحذر والتبصر والتوفير والاقتصاد .

واما فساد علاقاته مع غيره : فيتجلى بضعف الصداقة ، وفقد المودة والمعاداة والرأفة وحب الاحسان . واما فساد العلاقات الاجتماعية ، فتظهر بالتداعي للكسل ، وفقد النشاط للعمل ، والقدرة على الانتاج وحب الوطن ، وحرمة المبادئ العامة .

اضف الى ذلك شراسة الخلق ، والتهور وسرعة التأثر ، وسوء الظن وانقباض النفس ، وحمل الامور على غير محملها ، والاستئثار بالرأي ، والفكر الثابت والعمالية العقيمة ، الى غير ذلك من المساوئ الخلقية التي نشاهدها كل يوم في من نعهد فيهم السكر المزمن .

ويترافق ضعف الحس الاخلاقي هذا بضعف الملكات العقلية ولاسيما النباهة والمحاكمة وقابلية الائتلاف ، والذاكرة والقياس وذوق الجمال والاستقراء الادبي والفني و يتجلى هذا الضعف باجلى مظاهره عندما نقاس اعمال الغولي السابقة باللاحقة ، فترى ذلك العامل اليقظ النشط ، يرتكب انواع الخطأ في عمله و يتداعى للاهمال والكسل لضعف ذاكرته وعدم قدرته على متابعة الاعمال الذهنية . . ترى ذلك الرسام الذي كان يبتدع من المناظر ما يفتن النظر و يخجل الطبيعة ، وذلك الشاعر الذي كان يسحر الالباب ببيانه ومبتكرات افكاره ، وذلك الموسيقي الذي كان يطرب النفوس و يتلاعب بالقلوب يتدهورون رويداً رويداً بتأثير السم في رؤوسهم الى ما دون الحد الوسطي

من الناس ، وليت هذا السم يقف تأثيره عند تخريب الدعائم الدماغية العليا فقط ، بل يتعداها الى مراكز الحواس فيمسي الغولي مسيراً بحواس مريضة ينشأ عنها خطأ الحس والاوهام السمعية والبصرية والذوقية واللمسية ، والتخيلات والاحلام المزعجة ، والكابوس والارق المتواصل . وفي ذلك منتهى الشقاء البشري وارذل الحياة الانسانية ،

تلك هي المراحل التي يجتازها الغولي منذ الكأس الاولى حتى الثمالة ، وقد يهون الخطب فيما لو كان هذا الداء فردياً يعيش مع صاحبه و يزول بزواله كجل الامراض التي لا تتعدى الفرد الى سواه . ولكن الامر مع الغولية ليس كذلك ، فهي مرض اجتماعي ينتقل من الوالد الى الولد و يهدد الاسرة والهيأة الاجتماعية بفساد اعضائها وانهيار كيانها . ولقائل يقول ان من الامم من تتعاطى المسكرات من آلاف السنين وهي لم تزل حية تتمتع بقوتها وفرط عظمتها .

فأجيب على ذلك بان الغولية لم تصبح مرضاً اجتماعياً يهدد كيان الامم وحياة العنصر الا منذ نصف قرن فقط . وذلك لان الغول كان مجهولاً قبل القرن الحادي عشر . وقد انحصر استعماله في الصيدلة حتى القرن السادس عشر . ولم يبع بيعه خارج الصيدليات الا في عهد لويس الثاني عشر ، ففي عام ١٦٧٨ عرض الغول للبيع لاول مرة على قارعة الطرق . ولكن داءه لم يتفش في اوربة الا في القرنين الاخيرين . عندما اهتدت الصناعة الى استحصاله بتقطير الحبوب والشمندر . ولان الحياة باتت فيها ثقيلة العبء كثيرة المشاق والتكاليف تضطر العامل لمعالجتها الى الالتجاء الى منبه صنعي وجده في الغول .

ولكنه لم يلبث حتى وجد نفسه وماله وولده عرضةً لاغتياله . اما مضار الغول الاجتماعية — فانها لم تظهر الا في منتصف القرن التاسع عشر . واول

من لفت نظر العالم اليها هو الطبيب الاسوجي مانيوس هوس (Magnus Huss) عام ١٨٤٧ حيث قام يصف مضار الغول في الجسم البشري و ينذر بوخيم عاقبته وفداحة مضارّه .

اما الأقدمون فلم يكونوا ليشربوا سوى الخمر الصرف الحلو من العش وقد سبق لنا القول في المحاضرة الاولى بانه لايحوي سوى ثمانيـة أجزاء في المئة من الغول وهي كمية زهيدة لا ينشأ عنها السكر ، اللهم الا اذا شرب المرء كميات عظيمة من الخمر مما لا يعانيه كل انسان ولا يتعدى حد الافراد ولهذا لم تعرف الغولية بشكلها الاجتماعي في العصور القديمة . فهي مرض اجتماعي كالسل والافرنجي حديث العهد أقرته مشاهدات العلوم الاجتماعية والاقتصـادية والطبية ، ولكن الغولية ادهى وانكى لانها تنال الامة في جميع مقوماتها التناسلية والاقتصادية والاخلاقية و . . .

وقد أثبت فوريل (Forel) عام ١٩١١ نظريته القائلة باستحالة البذور التناسلية بالغول في المؤتمر الدولي الثالث عشر المنعقد في لاهي ضد الغولية . ويتلخص قوله بانه ما من انسان يرتاب اليوم بان الغول يحدث استحالة في كل من جبيرات اعضاء السكير التناسلية . وقد أيدت المشاهدات والتجارب العلمية السابقة واللاحقة هذا القول . فقد جاء في بحث كومبال (Combemale) عن نسل السكيرين المنشور عام ١٨٨٨ مانصه : « يحدث ادمان السكر ضموراً في الخصى حتى ان حجمها ينقص لدرجة حجم البندقة . و يسترخي الصفن وعضو التناسل و يندر وجود الحوينات في المني . اما عند المرأة فيحصل ضمور في المبيض و يختل نظام الطمث اي الحيض و ينقطع قبل زمانه المتعارف .

ثم قام كيرل وشوبر (Kyrle & hebopper) من جامعة فينا بتجارب

عديدة على الحيوانات ، فأسكرا واحداً وثلاثين حيواناً بالغول بادخاله يومياً زرقاً إِفي المعدة او في الوريد او تحت الجلد فشاهدا بعد مضي ثلاثة أسابيع ضموراً في جميع خصاها ، بلغ عند سبعة منها درجة شديدة أفقدت الخصى كل جبيراتها المنوية ·

وذكر الاستاذان ويشلباوم وكيرل من فينا (Weichselbaum & kyrle) في بحثهما عن مضار الغول عام ١٩١٢ ان السم الغولي يحدث تخريباً في الخصى بدرجات متفاوتة تنتهي ابداً بفقد الاقنية المنوية ·

وقد ذكر برتوليه (Bertholet) في بحثه عن تأثير الغولية المزمنة على أعضاء الرجل التناسلية المطبوع في لوزان عام ١٩١٣ انه شرح جثث ١٦٣ سكيراً ماتوا جميعهم بالتسمم الغولي فشاهد بعد الفحص المجهري ان معظم التخريب واقع في الخصى بالنسبة لسائر اعضاء الجسم ·

ولقد لخص هذا العالم تجاربه ومشاهداته بالنتائج الآتية :

(١) يحدث الغول عند مدمني السكر استحالة مبتسرة في الخصى تنتهي بضمورها وبفقد الحوينات المنوية ·

(٢) وتكون هذه الاستحالة دهنية في بادئ الامر ثم يعقبها التصلب وفقد الاقنية المنوية ·

(٣) ويحدث هذا التخريب عينه في المبيض عند المرأة التي تدمن السكر الغولي ·

وقد اقر العلم الحاضر هذه النتائج واصبحت نظرية فورل القائلة باستحالة البذور في اعضاء التناسل بتأثير الغول حقيقة راهنة لا تقبل النقد ايدها التشريح المرضي والطب السريري والتجارب الفسيولوجية وعلم حفظ الصحة ·

واذ قد ثبت لنا ان النطفة التي ستكون بشراً هي مصابة بتأثير الغولية بحيث باتت معها حياتها مهددة بالفقدان فهل من ريب بان النسل الذي سينشأ منها سيكون فاسداً مؤوفاً بنسبة فسادها وآفتها ، هل من ريب بعد ان ثبت لنا ان الحبة التي نغرسها في بطن الارض عاطلة بان الثمر الذي ستثمره سوف يكون عاطلاً ايضاً ؟ ما من ذي لب يرتاب في ذلك ·

وقد عرف الأقدمون بالتجارب تأثير غولية الآباء في سلامة الابناء فعملوا على منعها ومقاومتها · قال لادام (Ladame) كانت شريعة قرطجنة تحرم على العروسين شرب غير الماء في ايام الجماع محافظة على سلامة النسل · وكان رؤساء الدين في البلاد المدمنة السكر يمنعون طوائفهم من ملامسة النساء قبل مضي ثلاثة ايام على يوم العرس لا يتناولون فيها غير الماء خشية حصول نسل فاسد، وذلك لانهم كانوا يسكرون بشدة ايام الاعراس وقال ابن عبد ربه في عقد الفريد : وربما بلغت جناية الكاس الى عقب الرجل ونجله، وكان المأمون يقول : يانطف الحمار ·

وذكر الاستاذ لومب (Lombe) من لوزان في بحثه في عاهات الاولاد العصبية المطبوع في لبيسيك عام ١٩٠٣ : ان رجلاً ولد له ولد ابله فكتب اليه انه لم يسكر في حياته الا يوم بضع هذا الولد · مما يؤيد ايضاً ان السكر العرضي ذو دخل ايضاً في استحالة النسل ·

وذكر سباتية (Sabatier) في بحثه في تأثير الغول في النسل عام ١٨٧٥ المشاهدة الآتية : رجل عفيف ذكي قوي البنية لم يشرب المسكر في حياته الا في الاسابيع الثلاثة التي تزوج فيها ، ولدت له بنت غب تسعة اشهر ونصف من زواجه مصابة بالبلاهة وعدم توازن النفس ·

وقد ايدت مشاهدات بزولا (Bezzola) في سويسرة هذه المشاهدات السريرية القديمة فانه درس ترجمة حياة سبعين قدماً اي ابله فوجد ان النصف منهم ضعوا في حالة سكر الابوين يوم عيد المرفع والباقين اثناء سكرهم خلال السنة ، ثم درس ترجمة حياة ١٨١٩٦ رجلاً مصاباً بضعف العقل من بين ٩٣٤١٦٩ ولادة في سويسرة ما بين عام ١٨٨٠ و ١٨٩٠ فشاهد ان خمسين في المائة من البله بضعوا في ايام الاعياد المشهورة بتعاطي السكر .

ودرس مولير (Muller) من جامعة زوريخ سنة ١٩١٣ (٨٤٧) حادثة صرع فوجد ان الخمسين في المائة منهم نضعوا في الايام المعروفة بشرب المسكرات .

وذكر سيبيش (Sippich) سنة ١٩١٧ انه جمع ٩٧ مشاهدة لاولاد بضعوا اثناء السكر فلم يجد سالماً منهم سوى ١٤ ولداً فقط ، والباقون مصابون بآفات عقلية وعصبية مختلفة .

ومن التجارب العلمية المؤيدة لهذه المشاهدات تجارب ستوكار (Stockard) على الحيوانات فقد جمع ستوكار فريقاً من الحيوانات واسكرها برائحة الغول بعد تصعيده فشاهد ان صحتها لم تختل كثيراً خلافاً لاعضائها التناسلية فقد حدث فيها استحالة ادت الى فقد نسلها خواصه الاصلية فجاء مخالفاً لهيئة والديه بما يسمونه عجيبة .

و يطول بنا البحث اذا اردنا ان نأتي على ذكر ما كتبه وشاهده اساتذة العلم عند الامم المتمدنة العظمى في هذا الموضوع ، كله يثبت استحالة البذور المنوية عند الرجل بتأثير الغول و يدعو الى عدم سلامة النسل اثناء السكر الشديد

منعاً لفساد النسل وحفظا لسلامته ، ولهذا أنتقل من هذا البحث الى ... سكر المرأة بالنسل فأقول :

الغولية الولادية — اذا كان سكر الرجل يؤثر في بذوره المنوية فيفسدها فأن سكر الام اثناء الحمل يفعل في النطفة الصحيحة وهي داخل الرحم فيعرضها للاسقاط والاستحالة ، وذلك لان قسماً من الغول يطرد من الجسم كما سبق لنا بيانه في المحاضرة السابقة بواسطة المشيمة ، فينتقل من دم الام الى دم الجنين داخل الرحم فيسممه ويعرضه للغولية الولادية .

وقد اثبت كومبمال (Combemalc) مضار سكر الام الحامل على النسل بتجارب علمية مشهورة ، منها انه اسكر كلبة في الاسابيع الثلاثة الاخيرة من الحمل فانتجت ستة جراء ثلاثة منها ميتة والرابع بخصية واحدة والاثنان الآخران مؤوفا الدماغ . ومن التجارب العلمية المؤيدة هذا المطلب تجارب اوسكار ريدل وغاردينر بوسيت (Oscar Riddle & Gardiner Bossett) على بعض الحمام ، فقد اسكر هذان العالمان عدداً من الحمامات بالغول بواسطة الشم فوجدا في النتيجة نقصاً واضحاً في صفاره ، ومن الوقائع المدهشة الدالة دلالة واضحة على استحالة الجنين في الرحم من جراء ادمان الحامل شرب الغول ما قاله لانغشتين (Langstein) في بحثه في تأثير الغول في النسل قال : اتى عهد على نساء فينا كن فيه مولعات ولعاً شديداً بالكلاب القزمة اي الصغيرة الجثة التي كانوا يسمونها لصغرها كلاب الاكمام . لان النساء كانت يضعنها في اثناء تجوالهن في اكمامهن . وقد كان من المعروف بالمشاهدة والتجارب ان الكلبات السكيرات ينتج جراءاً صغيرة الجثث . فاستفاد احد اصحاب المعامل

من هذه المشاهدات فأسس معملاً لانتاج الكلاب القزمة ، وقد كان يصدر كيات عظيمة منها وذلك بواسطة اعطاء الغول للكلبات اثناء الحمل ٠

ومن هذه المشاهدات والتجارب يتضح لنا ان جرم الام السكيرة الاجتماعي عظيم وان تبعته التي تقع عليها من جراء سكرها اثناء الحمل لا تقل عن تبعة الرجل من جراء جماعه في حالة السكر ٠

الغولية بواسطة الرضاع ٠— وهنا ننتقل من الجنين الى الرضيع لنشاهد الغول ينساب الى جسمه مع اللبن كالسم بالدسم فما من طبيب في جميع انحاء العالم يعاني طب الاطفال الا و يحرم على المرضع شرب الغول أشهر الرضاع ، وذلك لان الاضرار التي يلحقها سكر المرضع بالرضيع أعظم من ان تعد وتحصى ٠ وليست هذه العناية الصحية بنت العلم الحاضر فقط ٠ بل هي سليلة لتجارب والمشاهدات القديمة العهد ٠ فقد كانت شريعة اليونان تمنع المرضع من شرب الخمر والمشروبات المسكرة محافظة على صحة الأطفال وسلامتهم ٠ وقد أثبت نيكلو (Nicloux) ان الغول يفرز مع اللبن عند المرضع مهما قلّت كميته التي تشربها ٠ وهو يظهر في لبن المرضع بسرعة عظيمة قد لا تزيد على ربع ساعة من تناوله ٠

اما المشاهدات السريرية الدالة على ان لبن المرضع السكيرة سم قتال للأطفال فهي كثيرة لا يقع عليها حصر ٠ منها ماذكره فرني (Vernay) في ليون مديكال عام ١٨٧٢ من انه شاهد مرضعاً تشرب يومياً ست كاسات من النبيذ فأصيب طفلها باختلاجات عصبية شديدة كادت تودي بحياته ٠ فأجبرت المرضع على ترك النبيذ مدة فشفي الطفل ٠ ومن ذلك ماذكره ديفوازين (Desvoisin) من انه شاهد بأم العين وفيات الأطفال في نورمانديا تزداد

من ٨ الى ١٤ في المائة بمجرد ابدال ارضاع الاطفال اللبن الصناعي بلبن المراضع اللاتي يتعاطين المسكرات ٠

ومن ذلك يتبين لنا الخطأ الفادح الذي يرتكبه بعض الناس باعطائهم الجعة اي البيرا للأمهات المرضعات بدعوى انها تزيد في كمية الدرة ٠ فيعرضون بعملهم هذا اطفالهن لانواع الآلام والآفات ٠ ولا ينحصر ضرر الغول بالطفل فحسب بل هو يلحق بالمرضع ايضاً ، فينقص كمية اللبن ، ويفقد المرأة ونسلها خاصة الارضاع وهـذه حقيقة أيدتهـا مشاهدات العلامة بونج (Bunge) واحصاآته العلمية ٠ فقد درس هذا العالم الفسيولوجي تأثير الغول في خاصـة الارضاع في مدينة بال وطلب الى الاخصائيين المشهورين في سائر المدن الكبيرة الاوربية ان يوافوه بمشاهداتهم المتعلقة بهذا المطلب ليضمها الى استقراآته ٠ وقد أسفر هذا الدرس الشاق عن تلك النتيجة المؤلمة وهي ان ثمانين في المئة من ساكنات (بال) عاجزات عن ارضاع أطفالهن إرضاعاً تاماً وهكذا حال النساء في سائر المدن الاوربية المركزية ، وان سبب هذا العجز هو الغولية الوراثية ٠ وان انتشار الغولية في النساء في الزمن الحاضر هو السبب لعدم إرضاع الأطفال إرضاعاً حقيقياً وان عدم الارضاع هذا سيؤدي حتماً الى نتيجتين مؤلمتين احداهما أخلاقية وهي ضعف شعور الأمومة في المرأة ، والثانية طبيعية وهي فقدان المقدرة على الارضاع ٠ ولا يخفى ما في ضياع هاتين الوظيفتين من فساد الأسرة وتداعي كيان الامة ٠ وقد أيدت نتائج بونج(Bunge) هـذه مشاهدات شمفس (Stumpffs) في باڤيرا بلاد الجعة ٠ فانه شاهد ان فرط شرب البيرا يحدث تحولاً شحمياً في الثدي يجعلهـا غير صـالحة للارضاع ٠

العولية ووفيات الاطفال :— ومن الاضرار الاجتماعية الفادحة التي تنشأ عن معاقرة الغول موت الأجنة في الأرحام وفرط وفيات الأطفال . وقد جاءت استقراآت لوليفان (Lullivan) مؤيدة هـذه الحقيقة المؤلمة . فان هذا العالم راقب ١٢٠ امرأة تتعاطى شرب الغول خلال سنين معينة ولدن فيها ستمائة ولد . فشاهد انه لم يعش منهم سوى ٢٦٥ ولداً . اما الباقون وعددهم ٣٣٥ فقد ماتوا جميعهم خلال السنة الاولى والثانية من الوضع . مما يجعل نسبة وفيات الاطفال عند الغوليين ٥٥/٨ في المئة في حين ان نسبة وفيات الاطفال عند المعفين عن الغول هي ٢٣/٢ في المئة . وتعظم وفيات الأطفال بنسبة إدمان سكر الأبوين المزمن . وقد شاهد سوليفان (Sullivan) ايضاً ان النساء المبتليات بالغوليـة اللواتي لايعيش لهن اولاد يصبحن أمهات ذوات اولاد اذا هجرن الغولية وانقطعن عن المسكرات .

وأيد ليتنان (Litinan) مشاهداته التي عرضها على المؤتمر الدولي الذي عقد في لوندرا ضد الغول عام ١٩٠٩ بالاحصاآت العلمية الآتية : فان هذا العالم أحصى وفيات الأطفال في ٥٨٤٥ أسرة ولد لها ٨-٢٠٠٠ أولاد فشاهد ان نسبة وفيات الاطفال في الأسر التي لاتتعاطى شرب الغول هي ١٣/٤٥ في المئة وان نسبة الوفيات في الاسر التي تشرب الغول بصورة معتدلة هي ٢٣/١٧ في المئة . وان هذه النسبة تصعد الى ٣٣/٢٠ في المئة في الاسر المدمنة السكر مما يدل دلالة واضحة على ان انتشار الغولية وازديادها في الشعوب داع لانقطاع النسل واضمحلال الامة .

استحالة النسـل الغولية :— ولننتقل الآن من الماهية الى الكيفيـة

لنشاهد تأثير غولية الآباء في صحة الابناء وصور أبدانهم ونفوسهم. فقد سبق لنا القول بان الغول يفسد البذور المنوية وان من الحبة الفاسدة لا يحصد الا ثمر فاسد . ونظرة خفيفة في احصاآت أطباء المدارس في الممالك الراقية ، ومديري ملاجيء تعليم البله ، واحصاآت المحاكم والسجون ودور المجانين تكفي لاثبات تلك الحقيقة المؤلمة .

قال بورنفيل (Bourneville) انه استقرأ حياة ابوي الف قدم اي ابله مثناه بالبلاهة لا يعقل ولا يتكلم ولا يعي فوجد ان آباء (٤٧١) منهم كانوا سكيرين وان أمهات (٨٤) منهم كن سكيرات وان الأبوين معاً كانا من مدمني الغول في (١٦٥) حادثة .

وقد فحص اليكس نيكول (Alex Nicholle) من نيو يرك (٦٣٠٠٠) تلميذ في المدارس فشاهد ان ٥٣—٧٧ في المئة من اولاد السكيرين هم دون الحد الوسطي من الوجهة العقلية والجسمية . وقد وجد شلسنكير (Schlesinger) ان (٣٠) في المئة من اولاد المتأخرين في مدارس برلين هم من آباء سكيرين . وبالنظر لتفاقم عدد الطلاب الاغبياء في المدارس اضطرت حكومات الممالك الراقية في اوربة واميركا لتأسيس مدارس خاصة بهم في جميع مدنها ، يعهد بادارتها الى أطباء ومعلمين اخصائيين . وذلك لما ينشأ عن احتكاكهم بالاولاد الاصحاء من الاضرار ، مما يكبدها نفقات عظيمة ويثقل كاهل موازناتها السنوية .

الجنون والغولية — وقد لا تعد هذه النفقات الباهظة شيئاً مذكوراً تجاه ما تنفقه تلك الحكومات من الملايين من الليرات على دور المرضى والمجانين التي تضم بين جدرانها الوفاً مؤلفة من انقاض البشرية الذين كان الغول من

اكبر العوامل في تجريدهم من الانسانية ، والزام البشرية بهم ، عما تضطرب لهوله القلوب ·

فقد جاء في الاحصاء الرسمي الذي نشره ماينان وبوشرو (Magnan & Bouchereau) عام ١٨٧١ ان عدد المرضى بالجنون الناشئ عن الغول هو (٣١) في المئة من مجموع مرضى سانت آن ·

وجاء في الاحصاآت الرسمية التي نشرها غارنيه (Garnier) وماينان (Magnan) ولغران (Legrain) وهي تشمل جميع ملاجئ قطر السين ان ٣٣ في المائة من مرضى السين بالجنون كان الغول من اعظم العوامل في جنونهم · وجاء في احصاآت سويسرا ان نسبة الجنون الغولي فيها هي (٢٠) في المائة عند الرجال واثنان في المائة عند النساء ·

وجاء في احصاآت ملاجئ بروكسل ان هذه النسبة هي ٣١ في المائة ·

وجاء في احصاآت ملاجئ انكلترا وبلاد الغال انه بلغ عدد الوفيات بالجنون الغولي فيها خلال عشرين سنة (٣٧٩٥٥) وفاة · وان نسبة الجنون الغولي هي ٢٦/٣ في المائة عند الرجال و (١٠/٤) عند النساء ·

وجاء في احصاء امالدي (Amaldi) لملاجئ ايطاليا خلال عام ١٩٠٩ الى عام ١٩١١ ان نسبة الجنون المسبب عن الغول هي ٣١/٥ في المائة عند الرجال و ٩٫٥ في المائة عند النساء ·

وجاء في الاحصاء الذي نشره وارين فاريس (warren Ferris) وهو يشمل حكومة نيو يورك ان عدد السكان ازداد بنسبة ٤٧/٦ في المائة من عام ١٨٩٠ — ١٩١٠ وان عدد المجانين ازداد في السنين المذكورة بنسبة ١٠٣/٩ في المائة اي تضاعف وان اعظم الاسباب في هذه الزيادة هو انتشار الغول ·

واليكم الآن الاحصاء الرسمي الذي نشره الدكتور بولاك (Pollak) باسم لجنة مستشفيات حكومة نيويورك المنشور سنة ١٩١١ وهو يدل بكل وضوح على ان الجنون ينقص بنقص استعمال الغول كما انه يزداد بانتشاره . فان هذا الاحصاء يذكر انه دخل ملاجئ نيويورك خلال سنة ١٩٠٨—١٩٢٠ (٢٧٦٩٩) مجنوناً وان نسبة الداخلين كانت تزداد من سنة الى اخرى حتى سنة ١٩١٧ حيث استقرت . ثم اخذت تتناقص بصورة منتظمة وذلك بالنظر لامتناع الناس عن شرب المسكرات .

تلك قطرة من وابل من مجموع التجارب والمشاهدات العلمية التي ابدتها الاحصاآت التي قام بجمعها وضبطها جهابذة اساتذة العلم في الممالك الراقية في جميع انحاء العالم . وكلها متضافر متضامن على تأييد حكمة تلك الآية الكريمة (واثمهما اكبر من نفعهما) وعلى اثبات فداحة مضار الغول في الفرد والاسرة والامة ، وان الغولية داء عضال تفشى في هذا العصر في الامم العظمى تفشياً مريعاً لاعهد للتاريخ بمثله في الازمنة الغابرة . وهو يهدد هذه الامم بهلاك النسل وفساد العنصر . وليست هذه النتيجة العلمية نبوءة مبتسرة لم تحققها حوادث التاريخ ، فما عهد ابادة الشعوب الضعيفة التي حمل اليها المستعمرون الغول منا ببعيد .

قال لغران (Legrain) في بحث الغولية في الجزء الثاني والعشرين من جامع الطب الداخلي والمداواة العملية ما نصه : (الغول سلاح مهلك بيد الامم الجائرة تدفعه الى الامم الضعيفة فتنحر به) (فمن ذا الذي لا يعلم مافعله مستعمرو اميركا الشمالية بسلاحهم المسمى ماء الحياة بسكان القارة الاصليين ذوي البشرة الحمراء . ومن ذا الذي يجهل ما نصنعه بالاسود في مستعمراتنا الافريقية

وما نحاوله بالعرب . ومن يجهل ما صنعه الاسوجيون مع اللابون . » الى ان قال (ص ١٩٠) « وكل الحكومات فعلت ذلك . فالانكليز باعوا الافيون الى الصين ، ونحن نحصد السود بخمورنا وغولنا . ثم قال (ان القوانين العامة التي قضت بهلاك الشعوب الضعيفة قتلاً بيد الامم القوية ستقضي في نفسها بهلاك هذه الامم القوية (ما دامت مؤوفة بالداء نفسه) وذلك بسرعة اخف من الاولى ولكن بقسوة لا تنقص عنها » .

ومما تقدم بيانه في هذه المحاضرة وفي المحاضرة السالفة يتضح لنا ان للغول مضار عظمى ومنافع ضئيلة . وتنحصر هذه المنافع بامرين : احدهما ان الغول غذاء ، والثاني انه منبه . اما القول بان الغول غذاء فقد أبطلته تجارب روبنر (Rubner) التي برهنت على ان ما كل مايشتعل في الجسم يعد غذاءاً . وان نظرية تنظيم الاغذية بحسب مقدار الحرارة التي تحدثها في الجسم فاسدة ، وان قيمة المواد الغذائية تقدر بحسب ما يستفاد من قدرتها في حصول الافعال الحيوية ضمن شرائط التغذية والحرارة الطبيعية ، وقد صرح اتواتر وبنديك نفسها وهما اللذان اثبتا بتجاربهما قيمة الغول الغذائية بانه اذا كان الغول يعد غذاءاً لاحتراقه في الجسم فهو غذاء سيء غذاء مكروه لانه يخرب الجسم اثناء استعماله فيه . وعلى ذلك فقد اضاع الغول اليوم احدى خاصتيه الاساسيتين وهو لا يأسف كثيراً لهذه الخسارة لان غواته لم يعشقوه لاجلها بل لما يحدثه في اجسامهم من النشاط والنشوة . اجل ايها السادة ، ان الغول منه اذا اخذ بالمقدار الطبي الملائم لطبيعة كل انسان بمفرده مع مراعاة الكيفية والماهية ، مما يتعذر تحقيقه لما بين الاجساد من التفاوت ولما يطرأ على الجسم الواحد من يوم الى آخر من التغير ، وهب انه امكن تعيين هذا المقدار لاحد الناس فان

هذه الكمية لا تكون ثابتة الا اذا اخذت عند الحاجة و بفواصل بعيدة اعني مرة في الاسبوعين او الشهر ، اما اذا تناولها المرء كل يوم فان الجسم لا يلبث ان يألفها ويصبح لا يتأثر بفعلها و يضطر المرء ليحصل على النشاط واللذة الاولى الى ان يزيد كميتها تدريجاً فيتجاوز امله هذا الحد الصحي و يعرض جسمه لانواع الآفات العضوية والنفسية التي مر ذكرها ٠

واذا كان في الامم افراد قليلون ذووا إرادة قوية وتربية صحيحة في وسعهم ان يحافظوا على ذلك المقدار الصحي وان يحفظوا بذلك صحتهم وسلامتهم ، فهم كما قال اعران أضرّ على الناس من الغول نفسه لانهم هم الذين يمثلون للناس فضائل الغول ويتخذهم صناعه وباعته عنواناً لدعايتهم ، فيقلدهم الضعفاء وهم سواد الامة فيهوون الى اشقى الحياة المادية والمعنوية ٠

من الفضيلة والانسانية اذاً ان يفادي هذا الفريق العاقل تلك اللذة العارضة كي لا يكون طعماً في شراك الغول يغتال به الوالد ثم الولد والاسرة ثم الامة ٠

وقد اهاب نذير هذا الخطر الداهم بالامم الاوربية والاميركيــة التي اخذت تشعر شعوراً واضحاً بدبيب السم ، سم الغولية الى مراكز اعضائها الحيوية ٠ فما كبرت الخطب واعظمت الخطر واستفظعت العاقبة وقامت تتداعى كما تتداعى الاعضاء الصحيحة في الجسم المحموم لمقاومة ذلك العدو القاهر الذي استحكمت في النفوس براثنه ، كما تتشعب الياف السرطان في الحسرفات الويل في نزعه والموت في تركه ٠

جيوش جرارة من علماء اساتذة وسياسيين واطباء وقانونيين ، ادباء

ومنشئين ومرشدين ومعلمين وعمال وموظفين مؤمنين وملحدين نساءً ورجالاً شيباً وشباناً يلبون باجمعهم نذير السلم وداعي الحياة ، فينضمون تحت لوائه ، يعلنون على الغول جهاداً مقدساً من دونه حروب الفاتحين وجهاد الصليبيين .

فهنالك في سكاندينافيا وفينلاندا وانكلترا والمانيا وهولاندا وسويسرة مئات من الجمعيات المؤلفة ضد الغول ومئات من الجرائد والمجلات العلمية والمنزلية والاجتماعية المنقطعة تخصصت لمقاومة الغولية .

هنالك جمعيات جوقة الامل (Bands of Hope) في انكلترا وجمعيات منازل فرسان الشاب الصالح الدولية واعضاؤها من الاولاد يعدون بالملايين . وجمعيات امل السرير (Espoir du Berceau) وهي تضم الوفاً من الامهات تعاهدن على ترك المسكر ووقاية اطفالهن من شروره .

هنالك جمعيات الرياضة البدنية التي من شروطها ان لا تضم الى حضنها عضواً يشرب المسكر على اختلاف كمياته وانواعه . وجمعيات (الشريطة البيضاء Ruban blanc) الخاصة بالبنات يتدربن فيها على مكافحة المسكرات ليكنّ في المستقبل زوجات وامهات صالحات .

هنالك الجهاد اللاغولي المقدس وكله يرمي الى هدف واحد هو وقاية ابناء الجيل القادم من شرور الغول وتهيئته ليصوت في المجالس النيابية المقبلة ضد المسكرات ، حذواً بما فعله نواب الولايات المتحدة وشيوخها الذين ابدوا بعملهم هذا من رباطة الجأش وقوة الارادة وصلابة العقيدة وصحة الايمان والجرأة والمفاداة ما لم يتجل في امة من امم التاريخ القديم والحديث .

وبينما نار الحرب تتأجج في اوروبا واميركا لمقاومة الغول ومطاردته

نرى البلاد العربية المتمدنة هـذه القادة الاسيرة الفتانة تتجه بكليتها نحو هذا العدو الافعى كأنها استلانت ملامسه ولم تستنكر نواجذه ، او كأنها سئمت الحياة فراحت تتطلب من سمه مخرجاً منهـا . وفي ذلك لعمري منتهى الجبن ، واقصى الغباوة ، واشنع خيانة .